

أقذار سُفليَّة

info@darak-egy.com 

02 24832669-010 27251915 

51 ب شارع الزهة – من امتداد رمسيس – القاهرة. 

جميع حقوق الطبع والتوزيع محفوظة للناشر.

أقدار سفلية

اسم المؤلف: محمد حمد كمال

تصميم الغلاف: أسامة علام

تدقيق لغوي: سارة صلاح

رقم الإيداع: 2021/13493

الترقيم الدولي: 3-63-977-978

الطبعة الأولى: 2021

محمد حمد كمال

أقدار سُفليّة

رواية



إهداء

إلى كيانِي ونفسي، زينة حياتي وتاج رأسي، الجسد والنفس والروح..
صاحبة السعادة، نور العين ونبض القلب، إلى ماضيٍّ وحاضري
ومستقبلي .

وطنبي وملجئي الوحيد، جنتي الواسعة ذات الجمال غير المعهود والنعيم
غير المحدود، الدفاء والسكينة، الطيبة والحنان، الأمان والاطمئنان، إلى
صاحبة الفضل والعطاء اللامتناهي، من تحمَّلت الصعاب وضحت براحتها
من أجل راحتي وتألَّمت كثيرًا في سبيل أن ترى البسمة على وجهي، وسهرت
على راحتي وكافحت معي وتحملت الكثير والكثير من أجلي.

إلى من دَعَتْ لي أكثر مما دعت إلى نفسها وكان لدعائها مفعول ساحر
لا مثيل له. إلى صاحبة الفضل عليَّ بعد ربي الله الواحد الأحد.

كنزي، أمُّنُ الكنوز والتي بدونها ما أصبحت شيئًا وكنت لا شيء، فهي
مَن صنعتني وهي التي لها أعيش ولا أريد سواها من هذه الدنيا، فهي
الحياة وأي حياة تكون بدونك يا أغلى من كل الوجود، فاللهم اجعل يوم
رحيلي قبلها حتى لا أموت مرتين يا الله.

إلى من حملتني في بطنها تسعة أشهر، أمي حبيبتي نبض قلبي، سر
سعادتي وتوفيقي، سبب وجودي في الحياة والنور الذي يضيء هذا الكون،
فلو أفنيت عمري كله وفوقه أضعافًا مضاعفة في الحديث عن عظمتك
وعلو شأنك ما أوفيتك نقطة في بحر من قدرك ومقدارك العظيم، بحبك
يا أمي أهديكِ هذه الرواية وكل حياتي.

ابنك: محمد

(1)

(محافظة القاهرة - حي المطرية)

الثلاثاء: 2018/7/3م

الساعة الثالثة بعد منتصف الليل

تحركت قوة من مباحث قسم شرطة المطرية برئاسة الرائد (رامي سعد) معاون المباحث وثلاثة أمناء شرطة، متجهين نحو بيت قديم بأحد الشوارع الهادئة القريبة من دائرة القسم، بعد وصول بلاغ من إدارة شرطة النجدة يفيد بأن أحد الجيران قد أبلغ عن سماعه لصرخة قوية مصدرها البيت محل البلاغ، تلاها ظهور شخص يخرج مهرولاً وهو يتلفت حوله.

وصلت القوة إلى مكان البلاغ وكان أفراد شرطة النجدة ينتظرون هناك. وقف الرائد (رامي) أمام البيت يطالعه؛ بيت قديم وكبير مساحته تزيد عن ثلاثمائة متر، مكوّن من طابقين يشبه الفلل قليلاً، يتخلله من الخارج بعض الشقوق والتصدعات، ومحاط بسور حديدي أكله الصدأ.

طلب رامي لقاء الشخص المبلّغ والذي كان متواجداً أمام بيته؛ رجل

عجوز جليس كرسي متحرك، سأله رامي أن يحكي ما شاهدته تفصيلاً، رد الرجل:

- أنا كنت قاعد في البلكونة زي ما متعود كل يوم، وفجأة سمعت صرخة جامدة لشخص زي ما يكون بيتألم وييستنجد، قرّبت من سور البلكونة وبصعوبة شديدة طليت منها، سُفت شخص لابس جلابية بس لونها ماكانش واضح بسبب الضلمة، ووشه برضو ما كنش باين لأنه كان لابس شال مغطي رأسه، تقريبًا كان شایل حاجة في إيده زي شنطة بس برضو مش متأكد، الضلمة ماكانتش موضحة حاجة، خرج من البيت بسرعة وفضل يجري لحد ما اختفى عن عيني، كل ده أنا سُفته في ثواني، كنت عايز أصرخ أو أقول أي حاجة بس خُفت الشخص ده يشوفني ويثذيني.

سأله رامي:

- كان فيه حد بيلبس جلابية متعود يزوره؟ ومين الناس الي كانوا بيتددوا على البيت؟

- لا دي أول مرة أشوف حد بالهيئة دي وميلاد صاحب البيت ماكانش حد بيزوره غير ابن عمه تقريبًا وكمان بقاله مُدة مش ببيجي.

- البيت ده بتاعه لوحده ولا فيه حد تاني يملكه معاه؟

- لا بتاعه لوحده ورثه عن أبوه والدورين مفتوحين على بعض وفيه سلم داخلي بيوصل للدور الي فوق.

تركه رامي وتقدم نحو البيت محل الحادث. دفع الباب الذي كان مواربًا فوجد أمامه ستارًا بلاستيكيًا أسود اللون، أزاحه ليرى جميع الأنوار مضاءة. وكان المشهد كالتالي: في منتصف الصالة يوجد حفرة واسعة

محاطة بكمِّ هائل من الأتربة والحجارة والطين، وبجوارها جثة لرجل أشيب الشعر خمري البشرة، فمه مفتوح وعيناه شاخصتان لأعلى.. وعلى الأرض ملقى حبل طويل وبعض أدوات الحفر، وأدوات أخرى تستخدم في حمل المعدات الثقيلة.. كان هناك أيضًا كرسيان خشبيان كالكراسي التي تستخدم في المقاهي الشعبية، ومنضدة خشبية صغيرة يعتليها فنجان قهوة نصفه ممتلئ، وزجاجتان خمر من النوع الرديء رخيص الثمن، إحداهما فارغة والأخرى لم تُفْتَح بعد، بجانبهما كأس زجاجي به القليل من الخمر وعلبتان سجائر واحدة من نوع (مارلبورو أحمر) لم يؤخذ منها سوى سيجارتين، والأخرى من نوع (بوكس) بها خمس سجائر، وولاعة معدنية فخمة الشكل بجانب علبة السجائر الأولى، وعلى الأرض عدد من أعقاب السجائر.

وقف الرائد رامى أمام جثة الرجل يتفقدتها فوجد الدماء تسيل من مؤخرة رأسه ويبدو أنها نتيجة لجرح عميق، ثم أضاء مصباح هاتفه ووجهه إلى الحفرة ليرى ما بداخلها لكنه لم يستطع رؤية شيء سوى الظلام؛ فقد كانت الحفرة عميقة جدًا، لكنه لم يتفاجأ من المشهد فقد كان شائعًا في هذه المنطقة أن يقوم أي أحد بالحفر أسفل بيته بحثًا عن الآثار، المختلف فقط هذه المرة هو اقتران الحفر بجريمة قتل.

ابتعد الرائد رامى عن الحفرة ليتوجه إلى الطاولة. وقف أمامها طويلًا يتفحص الأشياء الموضوعة فوقها والتي تدل على أنه كان هناك شخصان جالسان - كما جاء في البلاغ- وقد يكون الشخص الآخر هو مَنْ قتل صاحب البيت، والذي من المؤكد ليس بـلص أو شخص غريب عن المكان بدليل ضيافة صاحب الشقة له!

كان البيت مدمرًا تمامًا وكل شيء بداخله قديم ومتهالك، وبالبحث في

جميع أركان الشقة والتي تتكون من طابقين متصلين بسلم داخلي، عثر على البطاقة الشخصية للقتيل بأحد أدراج غرفه نومه، والتي تعرّف منها على اسمه ومحل عمله وميلاده.

اسم القتيل هو: (ميلاد فضل إبراهيم)، من مواليد المطرية القاهرة عام 1965م، أعزب، ويعمل بمصلحة التأمينات الاجتماعية.

بعدما انتهى رامي من تفحص الشقة بالكامل، اتصل بالمقدم (أيمن شاكر) رئيس مباحث القسم والذي من المفترض أنه في بيته يقضي ساعات راحته، أطلعته بالوضع الحالي والنتائج التي توصل إليها فأخبره الأخير أنه قادمٌ إليهم على الفور.

وفي تمام الساعة الرابعة والنصف صباحًا حضر (حازم كيلاني) وكيل النائب العام لمعاينة الواقعة، كما حضر فريق من الأدلة الجنائية لرفع البصمات، وأخذ عينات من الأحراز وتحليلها. وأثناء العمل لاحظ رامي الاستياء والغضب على وجه حازم، سأله:

- خير يا افندم! فيه حاجة مضايقة حضرتك؟

فردَّ بحدة وانفعال:

- أنا مش فاهم إنتوا دوركم إيه؟ مباحث إزاي إنتوا لما كل ده

بيحصل في قلب الدائرة بتاعتكم وإنتوا نايمين في العسل!

لم يعرف رامي بما يردّ فصمت، ليعاود حازم سؤاله عن أيمن ولم تأخر، فأجابه بأنه قادم في الطريق، وما هي إلا دقائق حتى حضر أيمن. دخل من باب البيت بخطى رزينة وثابتة بينما يطالع كل جزء بإمعان شديد.

- «صباح الخير».

قالها أيمن بصوت مرهق وملامح جامدة، ثم وقف معهما بضع دقائق يتحدث عن تفاصيل الحادث. بعدها قام هو الآخر بمعاينة مسرح الجريمة وطلب مقابلة الشخص المبلّغ فأخبره أنه قعيد ولا يمكنه المجيء فاضطر للذهاب إليه. استجوبه هو الآخر وحاول معرفة أي معلومة أخرى مفيدة لكنه لم يصل لأي شيء.

(قسم شرطة المطرية)

الساعة السابعة صباحًا

عاد المقدم أيمن إلى القسم وهو في قمة غضبه والذي اشتعل أكثر بعد مكالمته هاتفية قاسية من العميد (بدر سليم) مأمور القسم، ثم مكالمته هاتفية أخرى أشد قسوة وتعنيفًا من العقيد (إيهاب فتح الله) رئيسه المباشر، والذي اتهمه هو وباقي طاقم المباحث بالإهمال والتقصير في القيام بواجبات عملهم؛ فمن المفترض أن يتم الكشف عن تلك العمليات -الحفر من أجل العثور على الآثار- قبيل حدوثها، وما زاد الأمر سوءًا هذه المرة اقترانها بجريمة قتل. بعض رجال المباحث يعتبرون أن رئيسهم لا يفعل ذلك إلا لتحفيزهم ولكن في حالة أيمن -الذي لم يكن ضابط مباحث عادي، بل داهية من دواهي الزمان- اعتبر الأمر إهانة كبيرة. عندما ترى أيمن بنحالته وطوله المتوسط وشعره الناعم المصفف بعناية غريبة، قد تظنه شخصًا وديعًا، هادئًا، ولكنه على العكس من ذلك تمامًا؛ فهو معروف بعنفه وقساوة طبعه، غير أنه داهية في عمله؛ فبالنسبة إليه لا يوجد قضية معقدة أو ليس لها مفتاح، وبسبب اجتهاده وتميّزه ترقى إلى رتبة مقدّم وهو في سن صغيرة مقارنة بزملائه. أما رامي

فقد كان نقيض أيمن في كل شيء؛ بداية من هيئته، طوله الفارع وجسده الممشوق الرياضي وبشرته البيضاء، وحتى شخصيته صاحبة المبادئ والضمير الحي، وقلبه الذي لا يألف الشر على الإطلاق، ودائمًا ما يعنفه أيمن لطيبته ومثاليته المبالغ فيها بالنسبة إليه.

بعد أن استقر أيمن في مكتبه وطلب قهوته من الأمين، طلب رامي عبر اللاسلكي وأمره بالحضور على الفور. وما هي إلا دقائق حتى كان حاضرًا أمامه.

- لما كارثة زي دي تحصل واحنا منعرفش غير لما الناس تبلغ يبقي إحنا نايمين، حفرة كبيرة بالمنظر ده وعمقها أكثر من 5 متر تقريبًا معناه إن الحفر شغال من بدري وفيه شخص كان بيتردد على البيت ويمكن فيه ناس تانية كمان.

قالها أيمن بعصبية شديدة، ثم ضحك ضحكة ساخرة وأكمل:

- لا وكانوا شغالين في الحفر بمزاج وهما مطمئنين على الآخر وبيشربوا خمرة وقهوة وسجاير، كل ده حصل ومفيش واحد من رجالتنا وصلته معلومة أو خبر! يعني لولا إن واحد من الجيران أخذ باله وبلغ كنا هنفضل نايمين في العسل؟

تجمدت معالم رامي الذي استشعر الحرج الشديد، وحاول أن يتكلم بصوت متقطع من التوتر مررًا موقفه:

- الموضوع مش كده بالظبط يافندم، بس واضح إن ميلاد صاحب البيت ده شخص ذكي وحريص عشان كده محدش حس بيه ولا لاحظنا أي شيء مش طبيعي في الموضوع، حتى الجيران محدش فيهم حس بحاجة.

- يا فرحتي بيكم وبإحساسكم، بقى أنا المقدم أيمن شاعر أتوبخ بالشكل ده؟ وكل من هبّ ودبّ يسمّني كلمتين ويعمل فيها أستاذ عليًا، حتى وكيل النيابة يوقفني قدامه ويكدرني؟!!!

نطق هذه الجملة وهو يكاد أن ينفجر غضبًا وغيظًا ثم أكمل:

- القسم كله لازم يتشد، بس لما نفوق من الليلة دي الأول، عايزك تفوق رجالتك وتعمل تحريات عن «ميلاد» ده وتجيبي تاريخه من يوم ما اتولد هو وكل أصحابه وقرابيه ومين كان بيزوره في البيت، أنا عايز المعلومات دي على مكتبي قبل 48 ساعة، مفهوم؟

- تمام يا فندم، ممكن اسأل سؤال؟

- اسأل.

- حضرتك بتظن إن ميلاد والشخص اللي كان معاه ممكن يكونوا اختلفوا مع بعض لما وصلوا للحاجة اللي بيدوروا عليها عشان كده الشخص ده قتله وهرب؟ سليمان اللي بلغ بيقول إنه شافه شايل حاجة زي شنطة بس مش متأكد لأن الدنيا كانت ضلّمة. هو لحد دلوقتي مفيش حاجة بتأكد إنهم وصلوا لكنز أو مقبرة بس ده مجرد توقع.

- الخبراء هما اللي هيحددوا كل شيء بالتفصيل لما ينزلوا الحفرة ويعاينوها، والبيت زي ما إنت شايف خرابة ومفيهوش حاجة عشان تتاخذ، سليمان ده راجل عجوز وقاعد على كرسي متحرك وكويس أوي إنه شاف حاجة أصلًا يعني مش أي تفاصيل هيقلها تبقى سليمة، عشان كده مش شرط الشخص ده يكون أخذ حاجة معاه لما هرب، ممكن يكون قتله لأي سبب تاني أو ميقاش فيه نية للقتل ويكون

دفاع عن النفس لو ميلاد كان هو الي حاول يضرب الشخص ده وهو اضطر يواجه ويدافع عن نفسه، ويمكن مقتلهوش أصلاً وفيه سبب تاني، عمومًا اللي هيوضح كل حاجة تقرير الطيب الشرعي، ثم مين قالك أن شخص واحد اللي كان عند ميلاد! ما يمكن كان فيه حد تاني وهرب برضو بس الراجل ما أخذش باله منه.

محافظة القاهرة - حي السيدة زينب

(مصلحة الطب الشرعي) وتحديداً «مشرحة زينهم»

الساعة العاشرة صباحًا

تلك البناية الضخمة ذات التاريخ العريق التي تحوي العديد من الطوابق والممرات الضيقة الكثيرة والمتشابكة التي تشعرك بالضيقة والاختناق قبل الذعر والهلع، فهي مليئة بغرف التشريح وثلاجات حفظ الموقى المكتظة عن آخرها بالجثامين، فالموت جزء منها وهي جزء منه. أخطرت إدارة المشرحة بوصول جثة لرجل يدعى (ميلاد) في نهاية العقد الرابع من عمره، وصلت الجثة برفقة رجال الإسعاف ومندوب الشرطة المكلف بتسليمه ومعه جواب قبول بالحفظ المؤقت والفحص المبدئي بأمر وتوصية من النيابة العامة لحين صدور أوامر أخرى جديدة. تم إدخاله من خلال الباب الصغير الموجود في بوابة الاستقبال الضخمة وعلى الفور تم استلامه ونقله لغرفة الاستقبال والفحص المبدئي من قبل الأطباء المختصين بذلك.

كان الدكتور أكرم أبو المجد يجلس داخل غرفة مكتبه يراجع بعض

التقارير، حين جاءه اتصال من أحد موظفي قسم الاستقبال يطلب منه الحضور للتوقيع باستلام الجثة ومعاينتها، فتحرك على الفور متجهًا إلى الاستقبال وأنهى كافة الإجراءات. بعدها أمر بإدخال الجثة إلى إحدى الغرف الموجودة بالاستقبال ليبدأ في فحصها.

أكرم أبو المجد واحدٌ من أكفأ أطباء الطب الشرعي، والمدير المسؤول عن مشرحة زينهم ورئيس لمصلحة الطب الشرعي بأكملها. رجل ذو طلة مهيبية، أصلع الرأس، ضخم الجسم، ملامحه حادة مثيرة للخوف، ولكن ربما المثير للخوف أكثر من هيئته هو طبيعة عمله.

بعد أن انتهى أكرم من تفحص الجثة عاد إلى مكتبه، وما هي إلا دقائق حتى دخل إلى الغرفة الدكتور (رشاد فكري)؛ إخصائي التشريح الذي جاء متأخرًا عن مواعده، ليرمقه أكرم بنظرة استياء قائلاً:

- أهلاً، إنت شرفت!

فضحك وردّ:

- صباح الخير.

- قصدك صباح الإهمال والدلع، اتفضل ادخل غير هدومك بسرعة عشان عندنا شغل كثير، فيه تقارير لسه مخلصتش من إمبارح وعندك حالة طازة لسه واصله أهى تبص عليها وتكتبلي تقرير مبدئي عنها لحد ما نشوف قرار النيابة.

- حاضر يا دكتور.

دلف رشاد إلى مكتبه وارتمى زي العمل ثم انتقل لغرفة الاستقبال وعاین الجثة وفحصها فحصًا دقيقًا، وبعد أن انتهى من ذلك كتب

تقريره المبدئي وذهب به لأكرم داخل غرفة مكتبه ليطلعه عليه ويخبره
بتشخيصه للحالة:

- الفحص المبدئي والأعراض بتقول إن فيه سكتة قلبية، عينة الدم
التي أخذناها منه هتتحلل النهارده وهنعمله الـ DNA وكده الجثة
هتدخل حفظ طويل ولا مؤقت؟

- المفروض مؤقت بس مفيش أماكن كافية حاليًا في تلاجيات التبريد،
انقله للحفظ الطويل في غرفة رقم خمسة هتلاقي أماكن فيها، شوفله
مكان جنب أصحابه على أي سرير والجثة اتسجلت برقم (921).. يلا
نفذ.

- حاضر يا دكتور. بس فيه حاجة غريبة أنا أول مرة أشوفها ومش
فاهمها.

- إيه هي؟

- وأنا بفحص الجثة في نهاية منطقة الظهر عند القطنية لقيت شكل
عقرب على مرسوم، هو مش رسمة ولا وشم.. ده زي ما يكون عقرب
حقيقي وبارز من تحت الجلد، لما ضغطت عليه كان ملمسه جامد زي
لمس العروق لما تبقى بارزة.

- تلاقيه عامل وشم بارز زي اللي الأجنب بيعملوه، بيحددوا الشكل
الأول وبعدين يرسموه بالإبر وبيسيبونها فترة معينة في الجلد، الدم
بيتجمد في المكان ده وبيظهر الشكل بارز عن الجسم، على العموم لو
شَرَّحناه نبقى نشوفه.